

تعليق

د. حمزة بن فايع آل فتحي


بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِى سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠] .

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦].

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِىٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠].

(إني لا أحملُ همّ الإجابة ولكن همّ الدعاء، فإذا أُلهمتُ الدعاء فإن الإجابة معه) الفاروق عمر رضي الله عنه.

(أفضلُ الدعاء الإلحاحُ على الله – عز وجل والتضرع إليه) . الأوزاعي رحمه الله

فهرس الموضوعات

تقديم

الحمدُ للهِ شرحَ صدورَنا بآياته، وأنارَ بصائرَنا بهدايته ، ووفّقنا لسبيل طاعتهِ ومرضاته ، ونُصلي ونسلمُ على خير رسلهِ وأنبيائه ، نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين ...

أما بعد:

فلقد تيسّرت ساعاتٌ، وادُّخِرت أوقاتٌ للقرب من القرآن بفضله تعالى ، فبات بعضُهم سميرَه قراءةً وتدبراً ، وجليسه تأليفًا وتأملاً ، فكان مما جذَبه من علوم القرآن وروائعه (الدعوات القرآنية) فاستطاب جمعَها، والتذّ بطعمِها وحسنها ، فقرر لها جمعًا وانتقاءً، ثم تعليقا وتقريبا ، على غِرار ما سبق في كتاب سالفة ، نحو :(آية وأُهبة) (الشرفُ الأعظم) (قرأ الإمامُ)

(موقظاتُ التدبر القرآني) وأشباهها.. قرَّب من خلالها معاني، وأبان معالي، وبسط مراقي.

وهنا جمع صاحبكم نحو عشرين دعاءً قرآنيًا لطيفا ، خليقٌ بالمؤمن تعلمه وتأمله ، والتعلق به وحفظه، واللهج به وترديده، لا سيما وهو مسوق في سياق العلم والاقتداء ، وجاء في السنن الصحاح ما يؤيده ويؤكده ، نحو :(اهدنا لصراط المستقيم) (وقل رب زدني علما) (ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة..).

فاستطابَ القلمُ والفؤادُ جمعَ دعواتٍ مختارات من القرآن الكريم ، تكونُ نهجًا متبعًا ، وتقربنا من كتاب الله، وتحملنا على التدبر والاستشعار ، والوعي والاستطعام، وتجمع بين نميري الوحي، وينبوعي الهداية ، وثمرات الخير والرعاية . لا سيما

والملحوظ العناية بالأدعية الحديثية، وتجاهل أدعية القران ، وهذا شيء عجيب ، فقام هذا الكتيب لإظهارها وإبرازها في الناس، بحيث يتم تحفظها وترددها في الأوقات ، ففيها خيرٌ وبركة ، وأنسٌ وملذةٌ ، تُدنيك قرآنًا ، وتُعليك منزلةً، وتُرقّيك ثوابًا ومنالاً . وهي مع اختصارها متضمنةٌ لمعانٍ كبيرة ، تحوي مقاصدَ الدين في هذه الحياة ، وتحققُ سعادة العبد في الدارين ، وتورثه الصفاء والنور والبهجة . واستُبعِد منها ما هو خاصٌ بالأنبياء كقول سليمان عليه السلام: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) سورة ص: ٣٥ . فهذا محرم واعتداء . وقس عليها نظائرها .

والحمدُ للهِ أنّ الفكرة والجمع والصياغة تمّ في وقت خاطف، وساعات محدودة، والقلبُ في شغل وشرود ، والنفس في هم وجحود ، ولكنّ الله إذا فتحَ بابًا ، ذلّل أسبابه ، وإذا أرادَ خيرا يسّره لعباده، فالحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتنال الغايات ، والله الموفق .

محايل عسير

١٠/ ٥/ ١٤٤٣هـ

١/ حسنة الدنيا والآخرة..!

• في الحجِّ العظيم وزحمةِ الناس، والزحامِ الكظيظ ، واختلاط الأنفاس ، وتشابك العرقيات ، وطلب الحاجات ، يوفق بعضهم إلى هذه الدعوة القرآنية النبوية، وهي من أنفس الأدعية وأشرفها..﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة ٢٠١] . جمع بين خيري الدنيا والآخرة، ولم يشغل بالدنيا وملذاتها كالحاج الأول ، المستنكر عليه فعله...! فَجَمَعَتْ هَذِهِ الدعوةُ كلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، وصرَفت كُلَّ شَرٍّ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا تشملُ كُلَّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيٍّ، مِنْ عَافِيَةٍ، وَدَارٍ رَحْبَةٍ، وَزَوْجَةٍ حَسَنَةٍ، وَرِزْقٍ وَاسِعٍ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ،

وَمَرْكَبٍ هَنِيءٍ، وَثَنَاءٍ جَمِيلٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عبارات الْمُفَسِّرِينَ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا، فَإِنَّهَا كُلَّهَا مُنْدَرِجَةٌ فِي الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا. وَأَمَّا الْحَسَنَةُ فِي الْآخِرَةِ فَأَعْلَى ذَلِكَ دُخُولُ الْجَنَّةِ وَتَوَابِعُهُ مِنَ الْأَمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي الْعَرَصَاتِ، وَتَيْسِيرِ الْحِسَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ الصَالِحِةِ، وَأَمَّا النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ فَهُوَ يَقْتَضِي تَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا، مِنَ اجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ وَالْآثَامِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ وَالْحَرَامِ . كما أفاده الإمامُ ابن كثير رحمه اللهُ .

- والحج مستراح للدعوات المجابة ، وهذا من أحسنها. وفي السنة الصحيحة : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهم ربَّنا، آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" وفي رواية:(كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ : " اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً،..). وقال القرطبي رحمه الله: وَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْحَسَنَتَيْنِ نِعَمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، فَإِنَّ اللَّفْظَ يَقْتَضِي هَذَا كُلَّهُ، فإن "حَسَنَةً" نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الدُّعَاءِ، فَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِكُلِ حَسَنَةٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَلَى الْبَدَلِ. وَحَسَنَةُ الْآخِرَةِ: الْجَنَّةُ بِإِجْمَاعٍ. وَقِيلَ: لَمْ يُرِدْ حَسَنَةً وَاحِدَةً، بَلْ أَرَادَ: أَعْطِنَا فِي الدُّنْيَا عَطِيَّةً حَسَنَةً، فَحَذَفَ الِاسْمَ.

- ومن فقه الدعاء المواظبةُ على هذه الدعوة الجامعة ، وروعة الإسلام في الجمع بين نعيمين ونعمتين، وصنع توازن بينهما، وأنه لا يُضيعُ الدنيا ويهملها في مقابل طلب الآخرة والسعي

لها، كما يزعم بعضُهم التضاد في السلوك الإسلامي..! وفي ذلكَ رد عليهم. يل هو دين عظيم جاء بعمارة الدنيا من أجل الآخرة، والله الموفق .

**

٢/ الخوفُ من زيغ القلوب..!

- لما كانت الدنيا مسرحًا للفتن والابتلاءات، ومحلا للتبديل والتغير ، وضرورةُ إصلاح القلوب وتعبئتها بالأزوادِ الشرعية، ناسبَ سؤالَ الله ثباتَها وعدم زيغها ، وذلك من دعاء المؤمنين العزيز ، والذي يُتعاهدُ بكرة وعشيا ، لا سيما والمرءُ يشاهدُ تقلبات ومخاطر ، ويعاين تبدلات وحفائر..! وكم من حفرةٍ دنيوية ، ألقت بصاحبها إلى مراتعِ الضلالة والحيرة ، فتغير العملُ والسلوك، وزهدَ في الطاعة والحسنات ، وغرّه طولُ الأمل..! قال تعالى :﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران ٨] .

- وهـذا قيـل : حكايـةٌ عـن الراسـخين في العلـم كـأنهم لمـا سمعوا قوله تعالى: (وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعـون مـا تشابه منه) قالوا ربنا لا تزغ قلوبنـا باتبـاع المتشـابه (بعـد إذ هـديتنا) إلـى الحـق بمـا أذنـت لنـا مـن العمـل بالآيـات المحكمات. وإِزَاغَةُ القلب فسادٌ وَمَيْلٌ عَنِ الدِّينِ، أَفَكَـانُوا يَخَافُونَ وَقَدْ هُدُوا أَنْ يَنْقُلَهُمُ اللهُ إِلَى الْفَسَـادِ؟ فَـالْجَوَابُ أَنْ يَكُونُوا سَأَلُوا إِذْ هَدَاهُمُ اللهُ أَلَّا يَبْتَلِيَهُمْ بِمَا يَثْقُلُ عَلَـيْهِمْ مِـنَ الْأَعْمَالِ فَيَعْجِزُوا عَنْهُ، نَحْوَ" وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُـوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ". قَالَ ابْنُ كَيْسَـانَ: سَـأَلُوا أَلَّا يَزِيغُـوا فَيُزِيـغَ اللهُ قُلُـوبَهُمْ، نَحْـوَ "فَلَمَّـا زاغُـوا أَزاغَ اللهُ قُلُـوبَهُمْ" أَيْ ثَبِّتْنَـا عَلَـى هِـدَايَتِكَ إِذْ هَـدَيْتَنَا وَأَلَّا نَزِيـغَ

فَنَسْتَحِقَّ أَنْ تُزِيغَ قُلُوبَنَا. وَقِيلَ: هُوَ مُنْقَطِعٌ مِمَّا قَبْلُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ الزَّيْغِ عَقَّبَ ذَلِكَ بِأَنْ عَلَّمَ عِبَادَهُ الدُّعَاءَ إِلَيْهِ فِي أَلَّا يَكُونُوا مِنَ الطَّائِفَةِ الذميمة التي ذكرت وهي أهلُ الزَّيْغِ.

- وفي السنن الصحاح ما يشهد لهذهِ الدعوة القرآنية العظيمة .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ. وفي المسند عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّهَا، قَالَتْ : " مَا رَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، إِلَّا قَالَ : " يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ ".

- ونستفيدُ من هذا الدعاء: شدةَ التعلق بالحيّ القيوم، وعدمَ الثقة في النفس والعمل، ونبذ الغرور وديمة التوكل على الله، وطرح الحول والقوة عليه وحده سبحانه، والتزود من الطاعات، لا سيما الذكر والدعاء، والاتعاظ بتقلب المغترين والمتساهلين، وخوف سوء الخاتمة، والله المستعان .

❋❋

٣/ تجنبُ الغل البشري..!

- من مقاصد القرآن والذكر تطهيرُ القلب من أدرانه وأسقامه ، وإنها لنعمةٌ عظيمة ان يطهرَ الله قلبكَ من الغل والحسد ، أو الحقد والدغل..! فكم من علائقَ فسدت، وجوارات تلفت، ومسامرات كسدت من جراء تلكم القلوبِ الحمالة ، المثقلة بهباء المشاحنات القاتل ، ولذلك كان من دعاء أهل الإيمان التابعين : ﴿وَٱلَّذِينَ جَاءُو مِن بَعدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغفِر لَنَا وَلِإِخوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلإِيمَٰنِ وَلَا تَجعَل فِى قُلُوبِنَا غِلّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوف رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] .
- فهل فكرتَ في الانضمام إليهم، والتخلق بسمتهم الصافي، ودينهم الزاكي ، .. وهم التابعون بإحسان إلى يوم القيامة،

وقيل: هم الذين هاجروا بعد ما قوي الإسلام والظاهر شمول الآية لمن جاء بعد السابقين من الصحابة، المتأخر إسلامهم في عصر النبوة، ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوة إلى يوم القيامة، لأنه يصدق على الكل أنهم جاؤوا بعد المهاجرين الأولين والأنصار، عن سعد بن أبي وقاص قال: " الناسُ على ثلاث منازل، قد مضت منزلتان وبقيت منزلةٌ، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: (والذين جاؤوا من بعدهم) الآية" . ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ المراد بالأُخوّة هنا إخوة الدين، أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار.

- ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي غشًا وحقداً وبغضًا وحسداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي كثير الرأفة والرحمة، بليغهما لمن يستحق ذلك من عبادك، أمر الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق..! وقد ابتُلي بهذا الداء العضال الروافض وأتباعهم ممن قلدهم، وفتح لسانه على الجيل الفريد ، أو كان مطية للأعداء ، يجعلون منه سهاما على أولياء الله من العلماء والصالحين ، والله المستعان .
- والواجبُ سؤالُ الله الطهارة والسلامة من ذلك كله، حتى يأمن لك دينك، وتطيبَ حياتك، وتزيد سعادتك .. ومن

أدعيته الجميلة عليه الصلاةُ والسلام: (واهـدِ قلبـي ، واسـلل سخيمةَ صدري) أي: غشه وغله وحقـده وحسـده ونحوهـا ، ممـا ينشـأ مـن الصـدر ، ويسـكن في القلـب مـن مسـاوئ الأخلاق، وأسقام النفوس ، عافانا الله وإياكم من ذلك .

**

٤/ سؤالُ المدخل الصدق..!

- ما أجمـلَ أن تكـونَ مـداخلُك ومخارجك وسـائر تحركاتك كلها في مرضاة الله وطاعته، فتجد الكرامة ، وتلاقـي الأمـان ، وتظفر بالانشراح ، كما قال سبحانه في دعـاء رسـول الله عند الهجـرة في المشـهور : ﴿ وَقُـل رَّبِّ أَدخِلنِـى مُـدخَلَ صِـدق وَأَخرِجنِـى مُخـرَجَ صِـدق وَٱجعَـل لِّـى مِـن لَّـدُنكَ سُلطَـٰنا نَّصِيرا﴾ [الإسراء ٨٠]. وقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْـرِيُّ رحمـه الله: " إِنَّ كُفَّـارَ أَهْـلِ مَكَّـةَ لَمَّـا ائْتَمَـرُوا بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ لِيَقْتُلُـوهُ أَوْ يَطْرُدُوهُ أَوْ يُوثِقُوهُ، وَأَرَادَ اللهُ قِتَالَ أَهْلِ مَكَّـةَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَخْـرُجَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَهُوَ الَّذِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وعن قتـادة: ﴿وَقُـلْ

رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يَعْنِي: الْمَدِينَةَ ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ يَعْنِي: مَكَّةَ. ولكن تعميمها هنا أحسن ، لأن طبيعة المؤمن سؤالَ خالقه تعالى التوفيق والانتصار في كل الأحوال والحاجات ..!

- فيوفق في دخوله وخروجه ، ويمنحُ السلطان النصير ، وهو الحجةُ الظاهرة في كلامه وحواره ومناظراته، لا سيما العلماء والدعاة ، الذابون عن دين الله تعالى . وهي التي ستذلل له البشر ، فيحبون دعوته ويضحونَ من أجلها . وقيل : اجعل لي من لدنك ملكـًا وعزاً قويـًا أقيم به دينك ، وأعلي شريعتك..!

- وغاية هذه الدعوة : تربيةُ المسلم على التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه ظهورا وانتصارًا ، وسؤاله التوفيق والتسديد ، وأن الداعية لا غنى له عن توفيق ربه، وتسديد منطقه، وإظهار حجته ، وإقناع الناس بكلامه . ومن حُرِمَ التوفيق في مسيرته لا أفلحَ ولا أنجح ، وتبعثرت طاقتُه ، وطار ثوابُه، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- وفي السنة إنما يُوَفَّقُ الصادقون المتقربون لحديث..(ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ..) وفي السنة حديثُ عليّ رضي الله عنه أنه علمه رسولنا الكريم : (اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ). كما في صحيح مسلم رحمه الله .

**

٥/ سؤال شرح الصدر ..!

- مَن منَّا لا يفكر في انشراح الصدر ، ويرجوه ويتطلبه ، وهو يرى ضيقةَ صدور بعضهم ، أو تخلفَه في مهامه...؟! ولذلك كان موضع دعاء الأنبياء والصالحين ..! لأنه إذا انشرحَ صدرُ المؤمن ، تيسرت أمورُه ، وقويَ عزمه، وعلَت همته، وانسابت له الشؤونُ انسيابا، ولم يبال بمخلوق ولا جبار ....! وفي رحلة موسى عليه السلام الدعوية الى فرعون الطاغية، دعا الله وسأله أموراً منها.... (قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي) سورة طه . فما أجملَها من كلمات، وأطيبَها من

دعوات، وكأنّ قيامَ المؤمن على انشراحِ صدره، فهو المركزُ والمنطلق..

- ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾: والمرادُ: أَنْ يَشْرَحَ اللهُ لَهُ صَدْرَهُ فِيمَا بَعَثَهُ بِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ أَمَرَهُ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَسِيمٍ، بَعَثَهُ إِلَى أَعْظَمِ مَلِكٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِذْ ذَاكَ، وَأَجْبَرِهِمْ، وَأَشَدِّهِمْ كُفْرًا، وَأَكْثَرِهِمْ جُنُودًا، وَأَعْمَرِهِمْ مُلْكًا، وَأَطْغَاهُمْ وَأَبْلَغِهِمْ تَمَرُّدًا، بَلَغَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِ ادَّعَى أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ اللهَ، وَلَا يَعْلَمُ لِرَعَايَاهُ إِلَهًا غَيْرَهُ.
- وأصْلَ الشَّرْحِ البَسْطُ والفسح ونَحْوُهُ، وشَرْحُ الصَّدْرِ بَسْطُهُ بِنُورٍ إِلَهِيٍّ وسَكِينَةٍ مِن جِهَةِ اللهِ تَعالى ورُوحٍ مِنهُ عَزَّ وجَلَّ، بحيث يذهب قلقه، ويتلاشى خوفه، ويعظم دأبه واجتهاده في

هدايةِ من يخاطب..! ولما كان شرحُ الصدر بهذه الأهمية في الدعوة والسلوك، امتنّ الله به على رسولنا الكريم (ألم نشرح لك صدرك) سورة الشرح . والمعنى : ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحِكم وأزلنا عنه ضيق الجهل، أو بما يسرنا لك من تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك. ويشبه ذلك دعاء:(اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ، والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ).

- (وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) أي: سهل علي كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك، فلا شدائد ، ولا متاعب. وأما قوله واحلل عقدة فلا يحتاج اليه من كان سليما معافى .

- وأولى خطوات انشراح الصدر: الدعاءُ على الله بإلحاح وتشمير، وكثرة الذكر والصدقة، وحسنُ العمل والطاعة، وقضاء حوائج الاخرين، وتجديدُ الإيمان والتوحيد، وطلب العلم وبحثه، وغيرها مما هو مشهور معروف ..! والسلام .

**

٦/ الرحمةُ للوالدين..!

• ليس ثمة أحدٌ له فضل عليك بعد الله مثل الوالدين ، وجودا ورحمةً، وحنواً ورعاية، وبذلًا وتفضلا...! ومن حقهما إذا وعينا أن نردَّ شيئًا من ذلك الفضل، بالبر والعطف، لا سيما عند المرض والكِبَر ..! ولقد وصّى تعالى بالوالدين كثيرًا ، بكلامٍ صريح تتحرك له القلوب والمشاعر .. قال تعالى: (وَٱخفِض لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرحَمهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا) سورة الإسراء :٢٤. فبرهما وترفق بهما، وقل كثيرا (رب ارحمها كما ربياني صغيرا). والمعنى : تَذَلَّلْ لَهُما وتَواضَعْ فِيهِما، تواضعًا رقيقًا رحيمًا ، لا عق فيه ولا طيش وتطاول ...! فَيَنْبَغِي بِحُكْمِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَجْعَلَ

الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مَعَ أَبَوَيْهِ فِي خَيْرِ ذِلَّةٍ، فِي أَقْوَالِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَنَظَرِهِ، وَلَا يُحِدُّ إِلَيْهِمَا بَصَرَهُ فَإِنَّ تِلْكَ هِيَ نَظْرَةُ الْغَاضِبِ.

- وقوله (من الرحمة) فيه معنى التعليل : أي من أجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم ، لمن كان أفقرَ خلقِ الله إليهما بالأمس،..! (كما ربياني صغيرًا): خَصَّ التَّرْبِيَةَ بِالذِّكْرِ لِيَتَذَكَّرَ العبد شفقة الأبوين وتبعهما فِي التَّرْبِيَةِ، فَيَزِيدُهُ ذَلِكَ إِشْفَاقًا لَهُمَا وَحَنَانًا عَلَيْهِمَا، وأن لا يقدم عليهم أهلًا ولا مالًا..! ومن جميل ما أنشدوا في بر الوالدين :

غذوتُك مولوداً وعِلتك يافعًا ** تُعلُّ بما أُدني إليك وتنهلُ

إذا ليلةٌ نابتك بالشكو لم أبت ** لشكواك إلا ساهراً أتململُ

كأني أنا المطروقُ دونك بالذي ** طرقتَ به دوني وعينيَ تهملُ

فلما بلغتَ السن والغاية التي ** إليها مدى ما كنتُ منك أُؤَمِّلُ

جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً ** كأنك أنت المنعمُ المتفضلُ

فليتك إذ لم تَرعَ حقَّ أبوتي ** فعلتَ كما الجار المجاورُ يفعلُ

فأوليتني حق الجوار ولم تكن ** عليّ بمالٍ دون مالك تبخلُ

- قال سعيد بن جبير: اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ ، والله الموفق .

**

٧/ دعاء إقامة الصلاة..!

• كم من أناسٍ يصلون ويجتهدون حرصًا وذكراً وتهممًا، ولكن قد لا يقيمونها على وجه شرعي، وشكل موروث ، ولكنها تؤدى على أي طريق كانت...! وفي ذلك خللٌ واضح، ومن ثمَّ كان من دعاء أبينا إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ ٱجعَلنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّل دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] . أي اجعلني ممن يُقيمُها بأركانها ويحافظ عليها في أوقاتها، ثم قال (ومن ذريتي) أي اجعلني واجعل بعضَ ذريتي مقيمين للصلاة وإنما خص البعض من ذريته ، لأنه علم أن منهم من لا يقيمها كما ينبغي؛ ثم سأل الله سبحانه أن يتقبل دعاءه على العموم فقال (ربنا وتقبل دعاء)

ويدخل في ذلك دعاؤه في هذا المقام دخولاً أوليًا قيل والمراد بالدعاء هنا العبادة، فيكون المعنى وتقبل عبادتي التي أعبدك بها.

- وللصلاة فضلٌ عظيم في الشرائع ، لا سيما في شرعنا الإسلامي ، فقد فُرضت خمسا في اليوم والليلة، ومن فوق سبع سموات ، ووصى بها رسولنا الكريم في كل الأحوال ، ولم تسقط حال الخوف ، وأمر بها لحظات الوفاة..(الصلاةَ الصلاة وما ملكت أيمانكم). ..! وجعلها معدن الراحة (أرحنا بها يا بلال). فكيف يليقُ بنا أن نصليها بلا إقامةٍ ، أو نؤديها بلا إتمام ، أو نجتمعَ لها على كسل وخلل..؟! قال تعالى : (قد أفلحَ المؤمنون . الذين هم في صلاتهم

خاشعون) ولن نبلغَ هذه المرتبة حتى نؤديها بأركانها وشروطها ..!

- ثم طلبَ من الله سبحانه أن يغفر له ما وقع منه مما يستحق أن يغفره الله ، وإن لم يكن كبيراً لما هو معلوم من عصمة الأنبياء عن الكبائر. فقال التجاءً إلى الله وقطعًا للطمع من كل شيء إلا من فضله وكرمه، واعترافًا بالعبودية لله والاتكال على رحمته. ثم دعا لوالديه ولأهل الإيمان: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم ٤١] . وفي ذلك إثباتٌ للحساب وإيمان به، مما يعني الاستعداد وحُسن العمل، ..!

صـلاتي أرتنـي الهـدى والضـياءْ ** وعمت وجودي بنعمى العطاءْ

أرتنـــي كيـــاني وحريتـــي ** وأني علـــى سَـــنن الأنبيـــاء

والله ولي التوفيق .

**

٨/ إلهام شكر النعمة..!

• سـخَّر الله لعبـاده نعمـه، وذلّـل لهـم معايشـها، وكتـبَ لهـم أرزاقهـم ، وأسـبغَ علـيهم حلوهـا وطيبهـا وهنيئهـا، كمـا قـال سبحانه:(وآتاكم من كل ما سألتموه) سورة النحل . وقـال : (وأسبغَ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنة) سورة لقمان . ونبـي الله سليمان عليه السلام كان من المُنعَّمين المكرمين ، فقد علّمـه الله منطق الطير والحيوانات ، وجمع له بـين النبـوة والملـك ، ولما خرج في جيشـه وجنـوده ، وسـمعَ تخـوف النمـل منهم، تبسـم شـكرا لله... (فَتَبَسَّـمَ ضَـاحِكا مِّـن قَولِهَـا وَقَـالَ رَبِّ أَوزِعنِى أَن أَشكُرَ نِعمَتَكَ ٱلَّتِى أَنعَمتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِـدَىَّ وَأَن

أَعمَلَ صَـٰلِحا تَرضَـيٰهُ وَأَدخِلنِـى بِرَحمَتِـكَ فِـى عِبَـادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النمل ١٩] .

- أَيْ: أَلْهِمْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا عَلَيَّ، مِنْ تَعْلِيمِي مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ، وَعَلَى وَالِدَيَّ بِالْإِسْلَامِ لَكَ، وَالْإِيمَانِ بِكَ، وهذا مسلكٌ معروف للأنبياء، وفي الحديث المشهور : «أفلا أكون عبدا شكورا»؟ أخرجاه . ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أَيْ: عَمَلًا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ أَيْ: إِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ، وَالرَّفِيقِ الْأَعْلَى مِنْ أَوْلِيَائِكَ. وإذا أُلهِمَ العبد الشكر، لهج بذكر الله وحمده، وصارت طاعاته لله، واستيقنَ فضل الله عليه ، فلا ينسب ذلك إلا لخالقه ومانحه تبارك وتعالى .

وقال ابن القيم رحمه الله : الشُّكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً .

- وفي سؤالِ الله الشكرَ والتوفيق للعمل الصالح دليلٌ على افتقار العبد وحاجته الدائمة لله تعالى.

إِذا كانَ شُكري نِعمَةَ اللَهِ نِعمَةً ** عَلَيَّ لَهُ في مِثلِها يَجِبُ الشُكرُ

فَكَيفَ بلوغُ الشُكرِ إِلّا بِفَضلِهِ ** وَإِن طالَتِ الأَيّامُ وَاِتَّصَلَ العُمرُ

إِذا مُسَّ بِالسَرّاءِ عَمَّ سُرورُها ** وَإِن مُسَّ بِالضَرّاءِ أَعقبَها الأَجرُ

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " إن النعمةَ موصولةٌ بالشُّكر، والشُّكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطعَ المزيدُ من الله حتى ينقطع الشُّكر من العبد".

• ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ نفيٌ للحول والطول واعتماد على الله . أَيْ: إِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأَلْحِقْنِي بفضلك بِالصَّالِحِينَ الذين يتشرف بصحبتهم في جنات النعيم . والله الموفق .

**

٩/ سؤالُ الرحمةِ والرشد..!

• فرَّ الشبابُ الفتيةُ من القوم الظالمين بعد مخاصمة قومهم في التوحيد والعبادة ، وحين مضيهم الكهف، ابتهلوا الى الله تعالى ، وسألوه فيوض الرحمة، ومنازل الرشد...! ﴿ إِذ أَوَى ٱلفِتيَةُ إِلَى ٱلكَهفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحمَة وَهَيِّئ لَنَا مِن أَمرِنَا رَشَدا﴾ [الكهف : ١٠] . أَيْ: هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرْحَمُنَا بِهَا وَتَسْتُرُنَا عَنْ قَوْمِنَا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أَيْ: وَقَدِّرْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا هَذَا رَشَدًا، أَيْ: اجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رَشَدًا. وقيل: رحمةً: توجب لَنا المَغْفِرَةَ والرِّزْقَ ، والأَمْنَ مِنَ العَدُوِّ. لا سيما وهم في حالة فرار وارتعاب ، والذهن في شغل

واضطراب، فتنصبُّ عليهم الرحمة تسكن روعهم، والرشد يهديهم سبيلهم...

• وقَوْلُهُ: (مِن لَدُنْكَ) يَدُلُّ عَلى عَظَمَةِ تِلْكَ الرَّحْمَةِ، وهي الَّتِي تَكُونُ لائِقَةً بِفَضْلِ اللهِ تَعالى وواسِعِ جُودِهِ، وهَيِّئْ لَنا أيْ أصْلِحْ مِن قَوْلِكَ هَيَّأْتُ الأمْرَ فَتَهَيَّأ ﴿مِن أمْرِنا رَشَدًا﴾ .

والرَّشَدُ والرَّشادُ نَقِيضُ الضَّلالِ، وفي تَفْسِيرِ اللَّفْظِ وجْهانِ: الأوَّلُ: التَّقْدِيرُ وهَيِّئْ لَنا أمْرًا ذا رَشَدٍ حَتّى نَكُونَ بِسَبَبِهِ راشِدِينَ مُهْتَدِينَ. الثّانِي: اجْعَلْ أمْرَنا رَشَدًا كُلَّهُ، كَقَوْلِكَ: رَأيْتُ مِنكَ رَشَدًا، ..!

• وسؤالُ الرحمة مشهور في أدعية السنة وطلبها يقتضي توالي الخيرات والبر والإحسان والنعم، ففي المغفرة يأمن العبد

مـن كـل مرهـوب، وفي سـؤال الرحمـة يفـوز العبـد بكـلّ مرغـوب. وأمـا الرشـد فقـد صـح فيـه حـديث :(قُـلِ : اللَّهُـمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي).

- ونستفيدُ من دعاء فتيةِ الكهـف فضـل الرحمـة لافتقـار العبـاد إليهـا لبلـوغ الغايـات وتحقيـق الأمنيـات، وعظمـة الرشـد للسـلامة مـن الضـلال والانحـراف واعوجـاج المسـار..! إذ ليس كلُّ ثبات واستقواء يكون عن علـم ورشـاد ، فـربَّ همـةٍ بلا علم ، ورب طاقةٍ بلا هداية...! وقد سبق التعرض لـذلك في كتاب (خمسون رؤية إلى كهف الفتية).. واللهُ الموفق .

**

١٠/ نداء الظلمات..!

• لا تخلو حياتُنا من ظلماتٍ داهمة ، وكُرباتٍ قاتلة ، يشعر معها صاحبها بالعنت ، ويغشاه النصب والألم ، وهي هكذا الدنيا خلقها الله مطبوعةً بالأكدار، ومشوبةً بالكروب ، ولم ينفكَّ منها أنبياء الله الصالحون ... وهذا يونس عليه السلام ، يغادر قومه غضبان من نكوصهم وعنادهم، قال تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقدِرَ عَلَيهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. سورة الأنبياء : ٨٧ . أي اذكره وقت ذهابه مغاضبًا أي مراغمًا لقومه لا لربه، وترك القرية، ولم يستأذن الله، فركب البحرَ، وابتلي هنالك بالإلقاء فيه ، وساهم فكان

من المهزومين المدحضين، فألقوه ابتلاءً من الله، فقال كلمته الشهيرة ، ودعوته الجليلة، ونداءه الأسيف (لا إلهَ إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) . فشقت الكلمة تلك الظلمات ، وارتفعت إلى الحي القيوم، الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يعجزه معجز ..! والمراد بالظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت...!

- تجرَّعها النبيُّ الصالح، ولكنه دفعها بدعائه ولهجه لربه، وتسبيحه في ذلك المقام العصيب، حيث لا صديقَ ولا حميم، ولا منقذ ولا مغيث سوى الله تعالى..(فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)سورة الصافات. وكان نداؤه هو قوله: (لا إله إلا أنت سبحانك)

يعني تنزيهًا من أن يعجزك شيء يا خالقي... (إني كنت من الظالمين) الذين يظلمون أنفسهم، وأول هذا الدعاء كما تلحظ، تهليل وأوسطه تسبيح ، وآخره إقرار بالذنب.وقال الحسن وقتادة: " هذا القول من يونس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته قال ذلك وهو في بطن الحوت ".

- فرجا اللهَ وصدق في رجائه ، فانكشفت الكربةُ ، وانزاحت الظُلمة ، وتدحرجت الكارثة ...فَٱستَجَبنَا لَهُۥ وَنَجَّينَـٰهُ مِنَ ٱلغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلمُؤمِنِينَ فاستجبنا له ، (ونجيناه من الغم) أي غم الذلة والوحشة والوحدة بإخراجنا له من بطن الحوت ، حتى قذفه إلى الساحل (وكذلك ننجي المؤمنين) . أي نخلّصهم من همهم بأعمالهم الصالحة ، ودعائهم

الصادق، وما أعددناه لهم من الرحمة إذا دعونا واستغاثوا بنا في إقبال ومصداقية ...! وإنّي لأرجو الله حتى كأنّني ... أرى بجميل الظنِّ ما اللهُ صانعُ!

- ونتعلمُ هنا : حفظَ الله لعباده الصالحين ، وأنه لا يُعجزه شيء ، وأن ظلماتِ الكُرب ، حلُّها في الذكر والدعاء (وكذلك ننجي المؤمنين) وقد صح حديث أحمدَ والترمذي :قال عليه الصلاة والسلام : " دعوةُ ذي النون إذ هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت -الخ- لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له ". وهي بشرى عامة لأهل الإيمان.. والله الموفق.

**

١١/ سؤالُ المغفرة ومرافقة الأبرار..!

• لـم يملكْ أهلُ الإيمان وهـم أولـوا الألبابِ السليمة ، وقـد سمعوا القرآنَ ، وعاينوا أنـوارَ الـوحي، إلا أنْ آمنـوا وانقـادوا بـلا تـردد، وامتـزج حـب الإيمـان بـدمائهم وانشـرحت بـه صدورهم . يقول تعالى عنهم : (رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِيا يُنَادِى لِلإِيمَٰنِ أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُم فَـَٔامَنَّا رَبَّنَـا فَـٱغفِـر لَنَـا ذُنُوبَنَـا وَكَفِّـر عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلأَبرَارِ﴾ [آل عمـران ١٩٣] أي : دَاعِيًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ، وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ أَيْ يَقُـولُ: ﴿آمِنُـوا بِـرَبِّكُمْ فَآمَنَّـا﴾ أَيْ: فَاسْـتَجَبْنَا لَـهُ وَاتَّبَعْنَـاهُ ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ أَيْ: بِإِيمَانِنَا وَاتِّبَاعِنَا نَبِيَّكَ فَـاغْفِرْ لَنَـا ذُنُوبَنَـا، أَيِ: اسْـتُرْهَا ﴿وَكَفِّـرْ عَنَّـا سَـيِّئَاتِنَا﴾ أَيْ: فِيمَـا بَيْنَنَـا

وَبَيْنَكَ ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ أَيْ: أَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، من برت أعمالهم، وزكت نفوسهم ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ قِيلَ: مَعْنَاهُ: عَلَى الْإِيمَانِ بِرُسُلِكَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ. وَهَذَا أَظْهَرُ...! وفي طلبهم اللحاق بالأبرار دليل على تواضعهم، وأننا وإن كنا لسنا منهم، ولكن برحمتك يارب تبلغنا ذلك المنال، وأنت واسع المنّ والفضل..!

- وفي طلبهم تكفير الذنوب دل على أنَّ المؤمن مهما بلغ صلاحه لا يكتمل إيمانه، ولا يسلم له استقامته، بل يظل عرضةً للنقصان، ويخالطه التقصير، ولذلك في أول انصرافنا من الصلاة نلهجُ بالاستغفار، فما بالك ببقية

السلوكيات ..وإذا سلم من الذنوب الكبائر ، لم ينجُ من السيئات الصغائر ، والله المستعان .

- وكان من هديه صلّى اللهُ عليه وسلم كثرةُ الاستغفار اليومي إلى مائة مرة، كما صحت بذلك الأخبار...!

- وزادوا من دعائهم : ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران ١٩٤]

. طلبُ الثواب الموعود ، وتوقي خزي القيامة ..! أي امنحنا أيْ: ما وعَدْتَنا عَلى تَصْدِيقِ رُسُلِكَ، وجنبنا صغار وذلة ما يكون في القيامة وأهوالها ، والله المستعان .

**

١٢/ سؤالُ المنزل المبارك..!

- لا توفيقَ للعبد إلا بذكر الله، ولا هناءةَ له إلا في طاعة ربه..! ولن تستقيمَ له الدنيا إلا بتوحيد ربه والإخلاص في عبوديته ...! كما قيل : ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ بَاطِلُ...! ولذلك قال لنوح عليه السلام بعد قصة الغرق الضخمة للبشرية ، ونجّاهم الله بركوب السفينة قال له : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلنِى مُنزَلا مُّبَارَكا وَأَنتَ خَيرُ ٱلمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون ٢٩].
- وقبلها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ أي إذا ركبت واستقررْت على متن السفينة أنت ومن معك من المؤمنين ، فاحمدنا فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ، وادعنا ضارعًا إلينا قائلاً ﴿رَّبِّ أنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا﴾ أي من الأرض، وأثْن علينا خيراً .. فقل

﴿وأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ أي خير من اختيارنا . وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآياتٍ﴾ أي في قصة نوح ، لدلائل على قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته ، وقوله: ﴿وإن كُنّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي مختبرين عبادنا بالخير والشر، ليبينَ مؤمنُهم من كافرهم ، وصالحهم من فاسقهم ..!

- وفي السنة الصحيحة يستحبُّ هذا الدعاء مع ذلك.. عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ رضي الله عنها ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ ". رواه مسلم رحمه الله في صحيحه ، والله الموفق .

**

١٣/ سؤالُ قرة العين وإمامة الدين..!

• من أروع الصفات القرآنية المشهورة صفات عباد الرحمن ، فقد امتدحهم ربنا تعالى بصفات آسرة ، فكان كما قال فيهم:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان : ٧٤] . يَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ مَنْ يُطِيعُهُ وَيَعْبُدُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنُونَ مَنْ يَعْمَلُ بِالطَّاعَةِ، فتقرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ صَبَاحَةً وَلَا جَمَالًا وَلَكِنْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا مُطِيعِينَ. وفي ذلكَ حرص منهم على تكثير الإسلام ، وقَدْ جُمِعَ ذَلِكَ لَهم في صِفَةِ (قُرَّةَ أعْيُنٍ) . فَإنَّها جامِعَةٌ لِلْكَمالِ في الدِّينِ واسْتِقامَةِ الأحْوالِ في الحَياةِ؛ إذْ لا تَقَرُّ عُيُونُ المُؤْمِنِينَ إلّا بِأزْواجٍ وأبْناءٍ

مُؤْمِنِينَ، وقَدْ نَهى اللهُ المُسْلِمِينَ عَنْ إبْقاءِ النِّساءِ الكَوافِرِ في العِصْمَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠]. وفي هذه الدعوة تنبيه على مقاصد الزواج الجميل ، وأنه ليس لمجرد المتعة والشهوة ، ولكن له مقاصد رفيعة من إنجاب الذرية، وتطلب صلاحهم، وإعدادهم مفاخر ومعالم لأمتهم ..!

- (واجعلنا للمتقين إماما): أي قدوات يقتدي بنا في الخير والعلم والعلم الصالح لنا ولأبنائنا ، وهذا يعني رقيهم تقوى وصلاحا واستقامةً، لأنّ الناسَ لا يتبعون إلا من كان فاضلًا مباركًا ، وقد أضفوا عليه جميلَ الصفات ، وأطايب الشمائل.

**

١٤/ سؤالُهم صرفَ النار عنهم..!

• كل مؤمنٍ غالبًا ، تحضرُ في حياته وسكناته ذكرُ الجنة والنـار، سـؤالا وتعـوذا، فحولهـا ندنـدن كمـا صـح بـذلك الحـديث ، ولذلك كان من جميـل دعـاء عبـاد الـرحمن أيضًـا ، وإن كـان تقـدم علـى السـابق..﴿ وَٱلَّـذِينَ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا ٱصـرِفعَنَّا عَـذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَـذَابَهَا كَـانَ غَرَامًا﴾ [الفرقـان : ٦٥] . أي يسـالون الله في صــلواتهم أو ســائر أوقــاتهم أن يصــرف عــنهم النــار المستعرة ، وقد جاءهم من أنبائها ما يخلع القلوب ، لا سيما وعـذابها مهلـكٌ دائـم...! والأظْهَـرُ أنَّ مَعْنـى قَوْلِـهِ: ﴿كـانَ غَرامًا﴾، أيْ: كانَ لازِمًا دائِمًا غَيْرَ مُفارِقٍ، ومِنهُ سُـمِّيَ الغَـرِيمُ

لِمُلازَمَتِهِ، ويُقالُ: فُلانٌ مُغْرَمٌ بِكَذا، أيْ: لازِمٌ لَهُ، مُولَعٌ بِهِ.

عافانا الله منها .

- وَهَذا المَعْنى دَلَّتْ عَلَيْهِ آياتٌ مِن كِتابِ اللهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَهم عَذابٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨] . وقَوْلِهِ: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهم وهم فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] . وقَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزامًا﴾ [الفرقان: ٧٧] . ثم قال سبحانه: (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان ٦٦] . تعليل لما قبلها، أي بئست جهنم، أو أحزنت أصحابها وداخلها (مستقراً ومقامـًا) المراد بهما جهنم، ..! وهذا يدل على وجلهم منها وإشفاقهم. والمُسْتَقَرُّ قيل لِلْعُصاةِ فَإنَّهم يُخْرَجُونَ، والمُقامُ لِلْكُفّارِ فَإنَّهم يَخْلُدُونَ،

وساءَتْ مِن أفْعالِ الـذَّمِّ كَبِئْسَـتْ، ويَجُـوزُ أنْ يَكُـونَ هَـذا مِـن كَلامِ اللهِ سُبْحانَهُ، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ حِكايَةً لِكَلامِهِمْ.

- وفي سـنتنا الصـحيحة، اسـتعاذَ أو أمـرَ عليـه الصـلاة والسـلام بتوقي النار وخوف بلائها ،ففي دبر الصلاة يقول: (اللهـم إني أعوذ بك مـن عـذاب جهـنم ، ومـن عـذاب القبـر ، ومـن فتنـة المحيـا والممـات ، ومـن شـر فتنـة المسـيح الـدجال) رواه مسـلم. وعنـد الترمـذي وابـن ماجـة رحمهمـا الله تعـالى وهـو صحيح ، عن أنس رضي الله عنه ، قـال : قـال النبـي صـلى الله عليه وسلم : " من سألَ اللهَ الجنـةَ ثـلاث مـرات قالـت الجنـة اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالـت النار: اللهم أجره من النار" . والله الموفق .

**

١٥/ سؤال الصراط المستقيم..!

- في سورةِ الفاتحةِ العظيمة، أم القرآن والسبع المثاني ، وبعد الثناء ، تشريعٌ للمصلين بطلب الهداية للصراط المستقيم (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) سورة الفاتحة : وهي من أعظم الدعوات في الإسلام: أي أرشدنا وقيل ثبتنا على المنهاج الواضح، أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية والثبات عليه، لأن الألطافَ والهدايات من الله تعالى لا تتناهى، قال الله تعالى: (والذين اهتدوا زادهم هدى) الآية .
- وفي تكراره دائمًا في الصلوات وفي كل مرة دلالةٌ على فضله وعظمه، وأنه لا مناص للمرء من سؤاله والعنايةِ به ، وأن لا

يـأمن علـى نفسـه التقلـب والاضـطراب ..! وفي الحيـاةِ سُـبلٌ وصُرطٌ كثيرة متشعبة . من شأنها الإضلال وحصول الفتن..!

وفي حـديث صـحيح في المسـند : عَـنِ النَّـوَّاسِ بْـنِ سَـمْعَانَ الْأَنْصَـارِيِّ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، قَـالَ : "ضَـرَبَ اللهُ مَـثَلًا صِـرَاطًا مُسْـتَقِيمًا، وَعَلَـى جَنْبَتَـيِ الصِّـرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْـوَابٌ مُفَتَّحَـةٌ، وَعَلَـى الْأَبْـوَابِ سُـتُورٌ مُرْخَـاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّـرَاطِ، فَـإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْـوَابِ قَـالَ : وَيْحَـكَ، لَا تَفْتَحْـهُ ؛ فَإِنَّـكَ إِنْ تَفْتَحْـهُ تَلِجْـهُ، وَالصِّـرَاطُ الْإِسْـلَامُ، وَالسُّـورَانِ حُـدُودُ اللهِ، وَالْأَبْـوَابُ الْمُفَتَّحَـةُ مَحَـارِمُ اللهِ، وَذَلِـكَ الـدَّاعِي عَلَـى رَأْسِ

الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ".

- وحينما تشاهدُ ضلَّالا منحرفين، يحسبون أنهم على شيء ، تحمد اللهَ كثيرا على نعمة الصراط المستقيم ، والهدى للطريق القويم ، ونيل النهج السليم ..! ثم بيّن حملة الصراط قبلنا وصفاتهم ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.(غَيْرِ) صراط ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود وأشباههم . وغير صراط ﴿الضَّالِّينَ﴾ الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم، فقد حُرموا النعمة، وفاتتهم المنجاةُ والسلامة ...! والسلام .

١٦/سؤالُ القبول..!

- لا يـؤرقُ المـؤمنين شـيءٌ كـالقبول ، ولا يـزعجهم أمـرٌ كالانتفاع بثمرة الطاعة وتحقيق رضا الله تعالى..! ولذلك كـان مـن دعـاء الصـالحين دائمـا سـؤالُ القبـول ، كمـا قـال إبـراهيمُ عليـه السـلام في قصـة بنـاء البيـت المشـهورة : (وَإِذۡ يَرفَعُ إِبرَٰهِـمُ ٱلقَوَاعِدَ مِنَ ٱلبَيتِ وَإِسمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقبَّلۡ مِنَّـا إِنَّـكَ أَنۡـتَ السَّـمِيعُ الْعَلِـيمُ). [البقـرة: ١٢٧]. أي رَبَّنَـا تَقَبَّـلْ مِنَّـا بِنَاءَنَا، فيدعوان وهم في عمل صالح ﴿إِنَّـكَ أَنْـتَ السَّـمِيعُ﴾ لِدُعَائِنَا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِنِيَّاتِنَا ومقاصدنا ..!
- ويتجلى من دعـائهم الإشـفاقُ وخـوف عـدم القبـول كمـا هـو ديـدن المـؤمنين ، كمـا قـال تعـالى : (والـدين يؤتـون مـا آتـوا

وقلوبهم وجلة) روى الترمذي في سننه من حديث عائشة - رضي الله عنهما - قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: "لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ".

- قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"وعند أهل السُّنة والجماعة يُتقبَّل العمل مِمَّن اتقى الله فيه، فَعَمِلَه خالصًا لله موافقًا لأمرِ الله، فمن اتقاه في عمل تَقَبَّلَهُ منه، وإن كان عاصيًا في غيره، ومَن لم يتقه فيه لم يُتَقَبَّله منه وإن كان مُطِيعًا في

غيره" ..قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ... ﴾ [هود: ١١٤]، فلو كانت الحسنة لا تُقبل من صاحب السيِّئة لم تَمحُها...".

- ومن تكملة دعائهم الجميل ﴿ رَبَّنَا وَٱجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّة مُّسلِمَة لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُب عَلَينَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٢٨]. أي تمامُ انقيادهم للإسلام، وبقائه في الذرية، وتعليمهم المناسك، وبلوغ التوبة .. والله الموفق .

**

١٧/ سؤال الصبر وتثبيت الأقدام..!

- لا يصلحُ للمعارك والحروب بعد الإيمان إلا الصبرُ والثبات، لأنه مقامٌ زلّت فيه أقدامٌ ، وفرت أنفسٌ، وزاغت مشاعرُ ...! ولما كانت بمثل هذه المهابة ، صح قوله صلّى اللهُ عليه وسلم :(لا تتمنوا لقاءَ العدو وسلوا الله العافية ..) ولذلك لما التقى أتباعُ طالوت وجيش جالوت ، سألوا الله إفراغ الصبر عليهم، وتثبيت الأقدام لهم .. (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَا أَفرِغ عَلَينَا صَبرا وَثَبِّت أَقدَامَنَا وَٱنصُرنَا عَلَى ٱلقَومِ ٱلكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٥٠].

- (قالوا) أي دعوا الله متوكلين عليه (ربنا أفرغ) أي أصبب (علينا صبراً) الإفراغ يفيد معنى الكثرة (وثبت أقدامنا) عبارة

عـن كمـال القـوة والرسـخ ، وعـدم الفشـل والتزلـزل عنـد المقاومة، يقال ثبت قدمُ فلان على كذا ، إذا استقر له ولم يزل عنه ، وثبت قدمه في الحرب إذا كـان الغلـب لـه والنصـر معـه، ولـيس المـراد تقررهـا في مكـان واحـد (وانصـرنا علـى القـوم الكافرين) هم جالوت وجنـوده، وقـد جـزم بكفـرهم لمـا هـم عليـه مـن الضـلالة ، وهـي كفـرهم، وذكـر النصـر بعـد سـؤال تثبيـت الأقـدام لكـون الثـاني هـو غايـة الأول، إذ لا نصـر بـلا ثبات...!

- وفي الصبر احتمـال واحتسـاب ، وشـجاعة واستبسـال (ومـن يتصـبر يصـبّره الله) . وفي تثبيـت الأقـدام طعـان ومجابهـة، وإصـرار ومقارعـة (اللهـم ثبتـه) ، وفي الانتصـار تحقيـق لشروطه، وإسعاد لأرواحهم، وأنهم استجلبوا غالـب شـروط النصر وآدابه (واعلم أن النصرَ مع الصبر).

• وإذا تحققَ في أهل الإيمان المقاتلين ذلك ، كان سببا لظهورهم وتمكينهم ، وهطول البركات عليهم (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة ٢٥١] . وفي هذا الدعاء تربية لهم على الاعتماد على الله، وإضعاف حظ النفس، وان لا يغتروا بجيوشهم أو أسلحتهم، فلن تزيدهم من الله إلا بعدًا وهزيمة ، إذا ركنوا إليها ، وتناسوا موجبات النصر الحقيقي ...! ونظيره دعاء أتباع الأنبياء الصادقين (وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ) [آل عمران ١٤٧] . (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) قيل هي الصغائر

- (وإسرافنا في أمرنا) قيل هي الكبائر والظاهر أن الذنوب تعم كل ما يسمى ذنبًا من صغيرة أو كبيرة، والإسراف ما فيه مجاوزة للحد فهو من عطف الخاص على العام، قالوا ذلك مع كونهم ربانيين هضمًا لأنفسهم واستقصاراً لها وإسناداً لما أصابهم إلى أعمالهم، وبراءة من التفريط في جنب الله..!والله تعالى أعلم.

**

١٨/ الاستزادة من العلمِ..!

• في العلم نورٌ وعزٌ ومودة ، وفيه مجدٌ وسرور وسؤدد ، ولم يؤمر رسولُنا بالتزود من شيءٍ كالعلم .. يقول تعالى : (فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا) [طه ١١٤]. (وقل رب زدني علمًا) . فقد أثنى على نفسه تعالى ، وأنه الملك الحق ، ونهاه عن الاستعجال في تلاوته قبل تمامه ، ثم اوصاه بالعل وطلبه ، أي سَلْ في نفسِك ، ربَّك زيادةً العلم بكتابه وبمعانيه، فإنه الموصل إلى مطلوبك ، دون الاستعجال فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه وما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم، وفيه

التواضع والشكر لله، والتنبيه على عظم موقع العلم وفضله، وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية قال: (اللهم زدني علمـًا وإيمانـًا ويقينـًا) . وجديرٌ بكل مؤمن فعل ذلك والاقتداء به، فإننا في أمسِّ الحاجة إلى العلم بالله وبشرعه، وإننا لجهالٌ بتقصيرنا ، ناقصون في أفهامنا ، ولا يردمُ ذلك إلا العلمُ الشرعي ، والوحي الرباني ، نسأل الله من فضله (وقل رب زدني علمًا). ويشبهه قول إبراهيم عليه السلام: (رَبِّ هَب لِي حُكما وَأَلحِقنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ) [الشعراء ٨٣] (رب هب لي حكمـًا) المراد بالحكم الكمال في العلم والفهم والعمل يستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق. وقيل النبوة والرسالة. وقيل المعرفة بحدود الله وأحكامه.

- فها هنا دعوةٌ مباركة ، ويُعقبُها الجدُّ وحسنُ العمل، وعلاءُ الهمة، وارتداءُ العزيمة، واقتناء الكتب، ومجالسةُ العلماء، وسؤال الفقهاء. وكل هذه وسائل للتحصيل والجمع ، وإذا صح الدعاء واستُجيبَ قيّض الله للطالب ذلك، وفتح له من أنواره ، وزاده فلاحًا ورشدا .

- وعند الترمذي رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا). وفي حديث آخر: (كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ): " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ".

• وفي ازدياد العلم للمسلم والمسلمة زيادةُ الإيمان، واتساع العقل، واستقرار القلب، وثبات المنهج، والسلامة من البدع، والأمان من الضلال، ورد الباطل، وقمع الجهال ، واظهار الدين والشرائع ، وارتداء الأخلاق ، وصون النفس عما يَشين ويُهين..! قال تعالى :(وما يعقلها إلا العالمون) وقال:(وإنه لذو علمٍ لمّا علمناه). قال سهلٌ التستري رحمه الله تعالى: (مَا عُصِيَ اللهُ تعالى بمعصيةٍ أعظمَ مِن الجَهلِ، قيل: فهل تعرِفُ شيئًا أَشَدَّ مِن الجَهلِ؟ قال: نَعَم، الجهلُ بالجهلِ –الجهل المُرَكَّب-؛ لأنَّ الجهلَ بالجهلِ يَسُدُّ بابَ التَّعَلُّمِ بالكُلِّيَّة، فَمَن ظَنَّ بِنَفْسِهِ العِلْمَ كيف يَتَعلَّم)... وقال ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى: (اعْلَمْ أَنَّ

الْعِلْمَ أَشْرَفُ مَا رَغَّبَ فِيهِ الرَّاغِبُ، وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَ وَجَدَّ فِيهِ الطَّالِبُ، وَأَنْفَعُ مَا كَسَبَهُ وَاقْتَنَاهُ الْكَاسِبُ؛ لِأَنَّ شَرَفَهُ يُثْمِرُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَفَضْلَهُ يُنْمِي عَلَى طَالِبِهِ). واشتهر عن علي رضي الله عنه :

ما الفَخرُ إلّا لأهلِ العِلْمِ إنّهمُ ** على الهُدَى لمن اسْتَهدى أدِلَّاءُ

وقدرُ كُلِّ امرئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُه ** والجَاهِلُون لأهلِ العِلْمِ أعداءُ

واللهُ ولي التوفيق .

**

١٩/ سؤال صلاح الذرية..!

• مجبولـون بنـو آدمَ علـى محبـةِ الأبنـاء والذريـة ، فيـودونهم ويسارعونَ بالزواج لنيلهم ، وقد يتناسَون مع حرصهم طلبَ صـلاحهم وطيبـتهم .. كمـا قـد دعـا زكريـا عليـه السـلام : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَب لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ) [آل عمران ٣٨] . وإبـراهيم عليـه السـلام سَأَلَ الإمامة وإقامة الصلاة كما تقدم : (قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة ١٢٤] . وقـال: (رَبِّ هَب لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ) أي ابنـا صـالحًا، ووصـفه بالصـلاح . [الصافات : ١٠٠ . والابنُ الصالح البار إذا بلغ أشُده.. (وَبَلَغَ أَربَعِينَ سَنَة قَالَ رَبِّ أَوزِعنِى أَن أَشكُرَ نِعمَتَكَ ٱلَّتِى أَنعَمتَ

عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعمَلَ صَٰلِحا تَرضَيٰهُ وَأَصلِح لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبتُ إِلَيكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلمُسلِمِينَ﴾ [الأحقاف ١٥] .

فطلب الله صلاحَ ذريته، واستقامةَ عقبه .

- وفي هذه الآية دليلٌ على أنه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة وامتن اللهُ عليه ، أن يستكثرَ من هذه الدعوات (إني تبتُ إليك) من ذنوبي (وإني من المسلمين) أي المستسلمين لك المنقادين لطاعتك ، والمخلصين لتوحيدك.

- وفي دعاء زكريا (طَيِّبَةً) أَيْ صَالِحَةً مُبَارَكَةً. (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ) أَيْ قَابِلُهُ، وَمِنْهُ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. ودَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى طَلَبِ الْوَلَدِ، وَهِيَ سُنَّةُ الْمُرْسَلِينَ وَالصِّدِّيقِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجًا

وَذُرِّيَّةً) [الرعد: ٣٨] . وتقدم معنا من دعاء عباد الرحمنِ

(الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ)

[الفرقان: ٧٤]. وإنما خصصناه بالذكر هنا لتكرره من

الصالحين ، وووروده مفردًا عن غيره .

**

٢٠/ الاعتراف بالظلم وطلب المغفرة ، وكشف الفقر..!

- لا تبرحُ حياتُنا الدنيا من مكدراتها وترك مخاطرها ، فقد استجمعت كلَّ الشرور، لا سيما للوجهاء والعلماء الصالحون، فإنهم عرضةٌ للبلاء ، وموطنٌ للشقاء، وسبيل إلى الانتقام ، كما قال سبحانه : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين). وها هنا نبي الله وكليمه موسى عليه السلام ، لما قتل القبطي خطًأ تأسف وتألم ، واعترف بالخطيئة رسالة الله الغفر والصفح : (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي) [القصص: ١٦]. أي وقعت في المعصية ، ولكنها لم تكن عمدًا ، لكن ألمها بقي معه، ولم يزل نادمًا مستغفرا

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنعَمتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرا لِّلمُجرِمِينَ﴾ [القصص ١٧] . فـ ﴿قَالَ﴾ بعدها ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ أي: معينا ومساعدا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا أعين أحدا على معصية، وهذا وعد من موسى عليه السلام، بسبب منّة اللّه عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.

- ولذلك كانت المعاصي ظلمًا لأصحابها ، تورثهم التعب والحسرة، وفي حديث الصديق علمه من دعاء الصلاة :

(قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِك، وَارحَمْني، إِنَّك أَنْتَ

الْغَفور الرَّحِيم) . متَّفَقٌ عليهِ. ولما فر من "مصر إلى مدين " وقابل الرجل الصالح ، دعا قبلها..(فَخَرَجَ مِنهَا خَايِفا يَترَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّـٰلِمِينَ) [القصص ٢١] .

(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) أن يوقع به القتل، ودعا اللّه، و ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ، فإنه قد تاب من ذنبه، وفعله غضبا من غير قصد، فَتوعَّدُهُمْ له ظلمٌ منهم وعدوان .

لا سيما وهم يبطشونَ بالضعفاء ، ويحاربون المصلحين ودعا في طريقه : (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلقَاءَ مَديَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّى أَن يَهدِيَنِى سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ) [القصص ٢٢] . أي تسهيل الطريق ونيل الهدف بلا متاعب .

- ولما قابل المرأتين عند "ماء مدين" وسقى لهم وأحسنَ فيهم ، دعا الله واصفا فقره ومسكنته ، وقد قطع المسافة الطويلة على قدميه ولا زاد ولا طعام ، ولا صاحب ولا أنيس .. وَحيدٌ من الخلانِ في كل بلدةٍ... اذا عظم المطلوبُ قل المساعدُ ..! فقال: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنزَلتَ إِلَىَّ مِن خير فَقِير﴾ [القصص ٢٤] . أي: إني مفتقرٌ للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤالُ بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربَّه متملقا. وَقَالَ سعيد بن جُبَير رحمه الله : لم يكن على وَجه الأَرْض أكْرم مِنْهُ، وَكَانَ مُحْتَاجا إِلَى شقّ تَمْرَة. وَقَالَ مُجَاهِد رحمه الله : طلبَ الْخبز.

وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، وأخبرتاه بما جرى منه مروءةً وتفضلا .

- ونستفيدُ هنا عظمَ ما يلاقيه الدعاة إلى الله من مظالم ومناكدَ وافتقار وتربص ، وأنهم وإن كانوا أنبياء ، فهم مُبتلَون معرضونَ للأذى والفقر والجوع ، والله المستعان وعليه التكلان ، نعم المولى ونعم النصير ..!

**

الخاتمة..

اكتفى القلمُ بعشرينَ دعاءً قرآنيًا ، نسأل اللهَ حسنَ الانتفاع بها

وإصابة فضلها وثوابها ، وهنا تنبيهات :

أولًا: فضلُ هذه الدعوات القرآنية لمن اعتقدها وصدق في

تردادها والعناية فيها .

ثانيًا: ضرورةُ إحيائها في الساحة العبادية والدعوية ، لا سيما فيها

ما يلامس حياتنا وصلاحنا نحو : ربنا لا تزغ قلوبنا ...

وربنا تقبل منا... ودعوة يونس، وطلب الذرية الصالحة .

ثالثًا: قلةُ ألفاظها واختصارها بحيث يسهل حفظها، وهي

تختلف عن أدعية السنن الطوال ..!

رابعًا: أنها حاويةٌ لأكثر موضوعات الحياة وشؤونها، مما يحتاجه المسلمُ المهاجر إلى الله تعالى .

خامسًا: أن غالبها مقرون بالربوبية الدالة على محبة الرب ورعايته لخلقه، مشتقة من اسم الرب الذي يطلق على معان منها: المالك، والسيد المطاع، والمُصْلِح ، فهو ربنا وخالقنا وولي أمرنا، تبارك وتعالى .

سادسًا: أن في حفظها تجديدًا للمعاني القرآنية ، وبثها في الخلائق، بحيث لا يهجر الكتاب ، أو تختفي معالمه . والله الموفق .

تمّ الكتابُ بحمد اللّه وتوفيقه ، والحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات .

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٠٠) كتاب منها :

- سلالمُ العلمِ .
- الخطب الحديثية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات (شعر).
- اليَراعةُ الرمضانية
- مواقف علمية للأئمة الأسلاف. وكلها من (دار تكوين).



- طلائعُ السلوان – دار ابن خزيمة .
- نسماتٌ من أم القرى .
- وطن ومنن
- توهجات النيل
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثية متنوعة .

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

